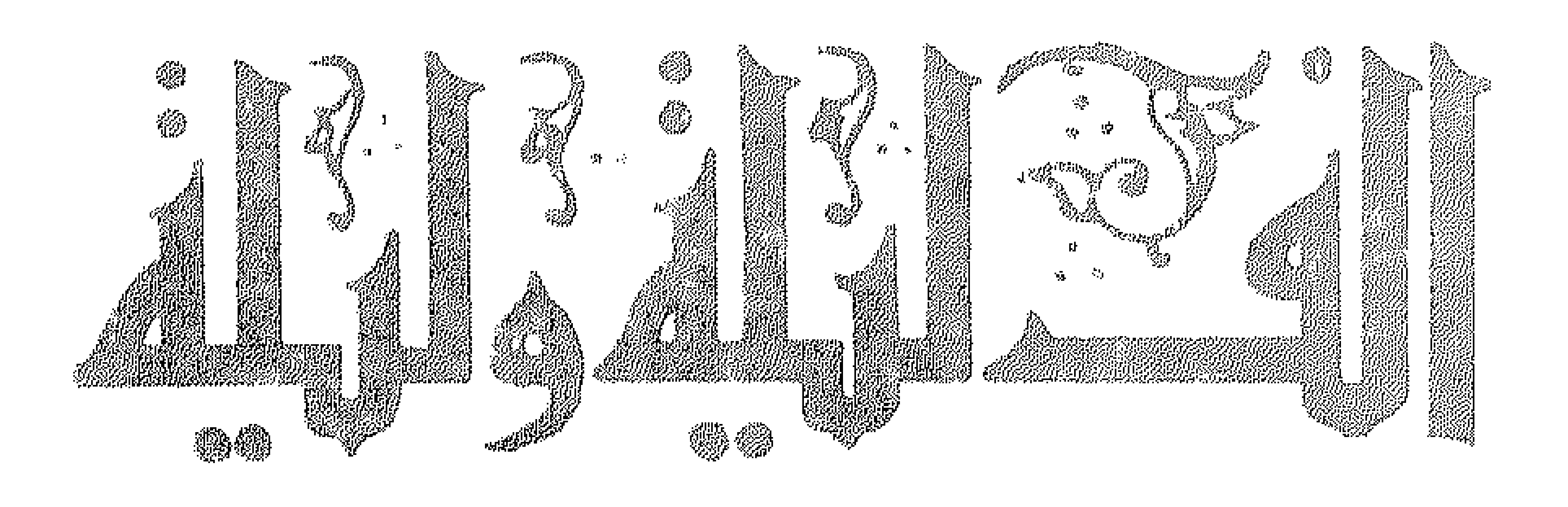
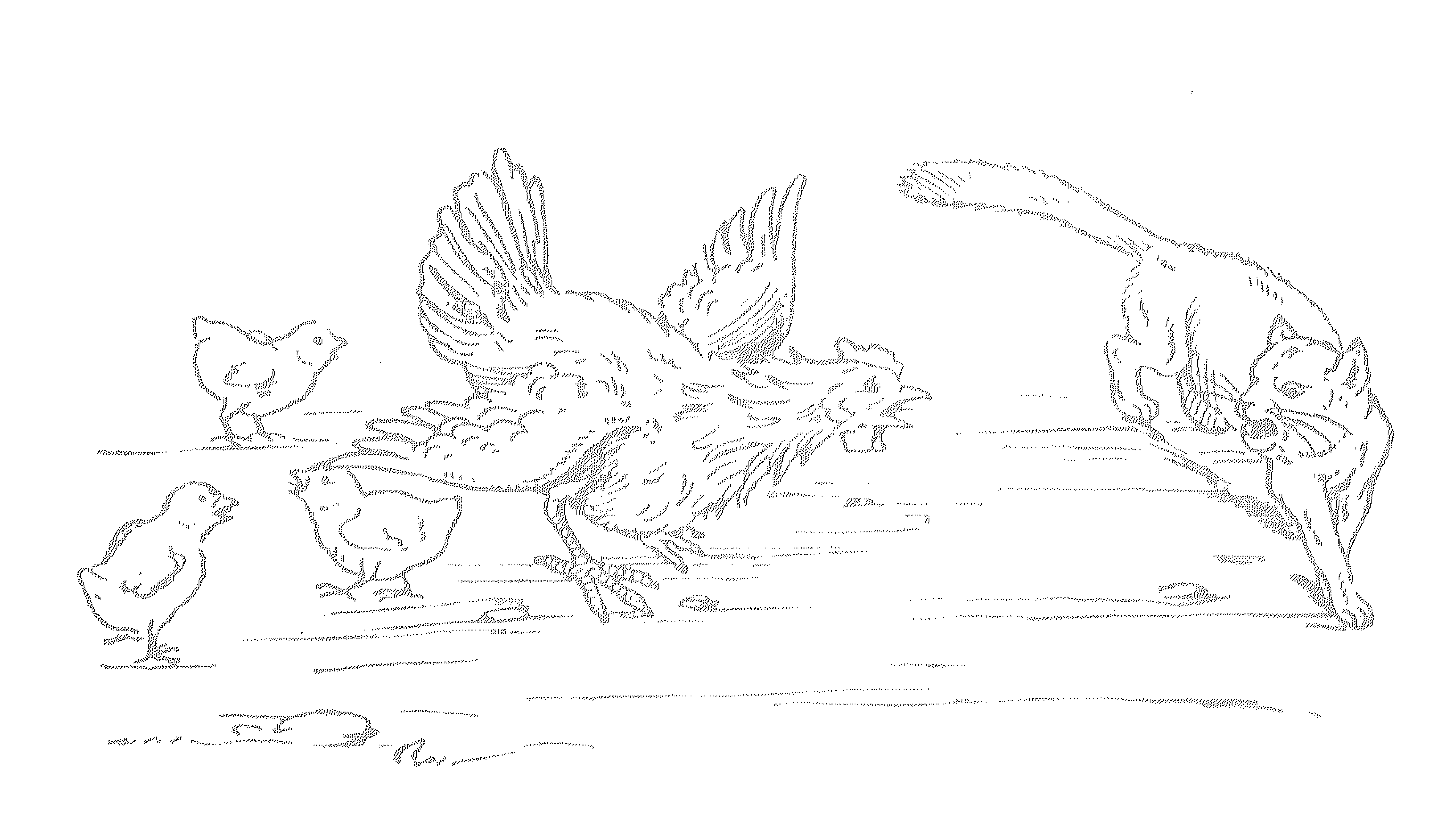




الطيور والحيوانات وابن آدم

ألف ليلة وليلة

٩

الطيور والحيوانات وابن آدم

راجعها

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

حكايات تتعلق بالطيور والحيوانات[1]

١٤٦

(فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد المائة) ، قالت شهرزاد : بلغني أيها الملك السعيد ، أنه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، طاووس يأوى إلى جانب البحر مع زوجته ؛ وكان ذلك الموضع كثير السباع ، وفيه من سائر الوحوش ، غير أنه كثير الأشجار والأنهار. وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلا ، من خوفهما من الوحوش ، ويغدوان فى طلب الرزق نهارا . ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما ، فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان إليه . فبينما هما يفتشان عن موضع ، إذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار ، فنزلا فى تلك الجزيرة ، وأكلا من أثمارها ، وشربا من أنهارها .

فبينما هما كذلك ، إذ بيطة أقبلت عليهما ، وهى فى شدة الفزع . ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التى عليها الطاووس هو وزوجته ،

---

(١) من الليلة ٤٤ إلى الليلة ١٤٦ فيها قصة عمر النعمان وبينها قصة العاشق والمعشوق وقد أخرنا قصة عمر النعمان إلى نهاية القصص لما فيها من طول بالغ ، واضطراب كثير يحتاج إلى تنسيق ، أما العاشق والمعشوق فقد نشرت وهى العدد الثامن :

فاطمأنت . فلم يشك الطاووس فى أنّ تلك البطة لها حكاية عجيبة ، فسألها عن حالها ، وعن سبب خوفها ، فقالت : إننى مريضة من الحزن وخوفى من ابن آدم ، فالحذر ثم الحذر من بنى آدم .

فقال لها الطاووس : لا تخافى ، بعد أن وصلت إلينا .

فقالت البطة : الحمد لله الذى فرج عنى همى وغمى بقربكما ، وقد أتيت راغبة فى مودتكما .

فلما فرغت من كلامها ، نزلت إليها زوجة الطاووس ، وقالت لها : أهلا وسهلا ومرحبا ، لا بأس عليك ، ومن أين يصل إلينا ابن آدم ؟ ونحن فى تلك الجزيرة التى فى وسط البحر ، فمن البر لا يقدر أن يصل إلينا ، ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا ، فأبشرى وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من ابن آدم .

فقالت البطة : اعلمى أيتها الطاووسة أنى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة ، لا أرى مكروها . فنمت ليلة من الليالى ، فرأيت فى منامى صورة ابن آدم ، وهو يخاطبنى وأخاطبه ، وسمعت قائلا يقول : أيتها البطة ، احذرى من ابن آدم ، ولا تغترى بكلامه ، ولا بما يُدخله عليك ، فإنه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره ، فإنه مخادع ماكر ، كما قال فيه الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمى أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ، ويرمى الطير ببندقة من طين ، ويوقع الفيل بمكره ؛ وابن آدم لا يسلم أحد من شره ، ولا ينجو منه طير ولا وحش ، وقد بلّغتُك ما سمعته عن ابن آدم.

فاستيقظت من منامى خائفة مرعوبة ، وأنا إلى الآن لا ينشرح صدرى خوفا على نفسى من ابن آدم ، لئلا يدهمنى بحيلته ، ويصيدنى بحبائله . ولم يأت علىّ آخر النهار إلا وقد ضعفت قوّتى ، وبطلت همتى .

ثم إنى اشتقت إلى الأكل والشرب ، فخرجت أتمشى ، وخاطرى مكدر ، وقلبى مقبوض . فلما وصلت إلى ذلك الجبل ، وجدت على باب مغارة شبلا أصفر اللون ؛ فلما رآنى ذلك الشبل فرح بى فرحا شديدا ، وأعجبه لونى ، وكونى لطيفة الذات ، فصاح علىّ وقال : اقربى منى .

فلما قربت منه قال لى : ما اسمك ؟ وما جنسك ؟

فقلت له : اسمى بطة ، وأنا من جنس الطيور .

ثم قلت له : ما سبب قعودك إلى هذا الوقت فى هذا المكان ؟

فقال الشبل : سبب ذلك أن والدى الأسد له أيام وهو يحذرنى من ابن آدم ، فاتفق أننى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم .

ثم إن الشبل حكى لى نظير ما حكيته لك ، فلما سمعت كلامه قلت له : يا أسد ، إنى قد لجأت إليك فى أن تقتل ابن آدم وتحزم رأيك

فى قتله ، فإنى أخاف على نفسى منه خوفا شديدا ، وازددت خوفا على خوفى من خوفك من ابن آدم ، مع أنك سلطان الوحوش .

ومازلت يا أختى أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه بقتله ، حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كان فيه ؛ وتمشى وتمشيت وراءه ، فقرقع بذنبه على ظهره . ولم يزل يتمشى وأنا أمشى وراءه إلى مدق الطريق ، فوجدنا غبرة طارت ، وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان ، وهو تارة يَقْمُصُ ويجرى ، وتارة يتمرغ . فلما رآه الأسد صاح به ، فأتى إليه خاضعا ، فقال له : أيها الحيوان الخَرِف ماجنسك ؟ وما سبب قدومك إلى هذا المكان ؟

فقال : يا ابن السلطان ، أنا جنسى حمار ، وسبب قدومى إلى هذا المكان هروبى من ابن آدم .

فقال له الشبل : وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك ؟

فقال له الحمار : لا يا ابن السلطان ، وإنما خوفى أن يحتال علىّ ويركبنى ، لأن عنده شيئا يسميه البردعة ، فيجعلها على ظهرى ، وشيئا يسميه الحزام فيشده على بطنى ، وشيئا يسميه الثَّفَر فيجعله تحت ذنبى ، وشيئا يسميه اللجام فيجعله فى فمى ، ويعمل لى منخاسا ينخسنى به ، ويكلفنى مالا أطيق من الجرى . وإذا عثرت لعننى ، وإذا نهقت شتمنى ، وبعد ذلك إذا كبرت ولم أقدر على الجرى يجعل لى رَحْلاً من الخشب

ويسلمنى إلى السقائين ، فيحملون الماء على ظهرى من النهر فى القرب ونحوها ، كالجرار . ولا أزال فى ذل وهوان وتعب حتى أموت ، فيرمونى فوق التلال للكلاب . فأى شيء أكبر من هذا الهم ؟ وأى مصيبة أكبر من هذه المصائب ؟

فلما سمعت أيتها الطاووسة كلام الحمار ، اقشعر جسدى من ابن آدم ، وقلت للشبل : يا سيدى ، إن الحمار معذور ، وقد زادنى كلامه رعبا على رعبى .

فقال الشبل للحمار : إلى أين أنت سائر ؟

فقال له الحمار : إنى نظرت ابن دم قبل إشراق الشمس من بعيد ، ففررت هربا منه ، ولم أزل أجرى من شدة خوفى منه . وها أنا ذا أريد أن أنطلق ، عسى أن أجد لى موضعا آوى إليه من ابن آدم الغدار .

فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل فى ذلك الكلام ، وهو يريد أن يودعنا ويروح ، إذ ظهرت لنا غبرة ، فنهق الحمار وصاح ، ونظر بعينه إلى ناحية الغبرة واضطرب اضطرابا شديدا . وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم ، بغرة كالدرهم ، وذلك الفرس ظريف مليح التحجيل ، حسن القوائم والصهيل ؛ ولم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل ابن الأسد . فلما رآه الشبل استعظمه ، وقال له : ما جنسك أيها الوحش الجليل ؟ وما سبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل ؟

فقال : يا سيد الوحوش ، أنا فرس من جنس الخيل ، وسبب شرودى هروبى من ابن آدم .

فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال : لا تقل هذا الكلام فإنه عيب عليك ، وأنت طويل غليظ . وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك ؟ وأنا مع صغر جسمى قد عزمت على أن ألتقى بابن آدم فأبطش به وآكل لحمه ، وأسكن روع هذه البطة المسكينة ، وأقرها فى وطنها . وها أنت ذا لما أتيت فى هذه الساعة قطعت قلبى بكلامك ، ورجعتنى عما أردت أن أفعله ، لأنك أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ، ولم يخف من طولك وعرضك مع أنك لو رفسته برجلك لقتلته ، ولم يقدر عليك ، بل تسقيه كأس الردى .

فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال : هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك ، فلا يغرك طولى ولا عرضى ولا ضخامتى مع ابن آدم ، لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيئا يقال له الشِّكَال ، ويضع فى أربعة قوائمى شِكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ، ويصلبنى من رأسى فى وتد عال ، وأبقى واقفا وأنا مصلوب لا أقدر على القعود ولا النوم . وإذا أراد أن يركبنى يعمل لى شيئا فى رجليه من الحديد اسمه الرِّكاب ، ويضع على ظهرى شيئا يسميه السرج ، ويشده بحزامين من تحت إبطى ، ويضع فى فمى شيئا من حديد يسميه اللجام ، ويضع فيه شيئا من الجلد

يسميه العنان . فإذا ركب فوق ظهرى على السرج يمسك العنان بيده ، و يقودنى به ، و يهمزنى بالركاب فى خواصرى حتى يدميها . ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم ؛ فإذا كبرت وتساقط شعر ظهرى ، ولم أقدر على سرعة الجرى ، يبيعنى للطحان ليدير بى الطاحون ؛ فلا أزال دائرا فيه ليلا ونهارا إلى أن أهرم ، ثم أقتل و يسلخ جلدى و ينتف ذنبى .

فلما سمع الشبل كلام الفرس ، ازداد غيظا وغما ، وقال له : متى فارقت ابن آدم ؟

قال : فارقته نصف النهار ، وهو فى أثرى .

فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام ، إذ بغبرة ثارت ، و بعد ذلك انكشفت الغبرة و بان من تحتها جمل هائج ، وهو يرغو ويهدر و يخبط برجليه الأرض ؛ ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا . فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن أنه ابن آدم ، فأراد الوثوب عليه ، فقلت له : يا ابن السلطان ، ليس هذا هو ابن آدم ، و إنما هذا جمل ، ولعله هارب من ابن آدم .

فبينما أنا يا أختى مع الشبل فى هذا الكلام ، إذ بالجمل تقدم بين أيادى الشبل وسلم عليه ، فرد عليه السلام ، وقال له : ما سبب مجيئك إلى هذا المكان ؟

قال : جئت هاربا من ابن آدم .

فقال له الشبل : وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك ، كيف تخاف من ابن آدم ، ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته ؟

فقال له الجمل : يا ابن السلطان ، اعلم أن ابن آدم له دَوَاهٍ لا تطاق ، وما يغلبه إلا الموت ؛ لأنه يضع فى أنفى خيطا ويسميه خزاما ، ويجعل فى رأسى مقودا ، ويسلمنى إلى أصغر أولاده ، فيجرنى الولد الصغير بالخيط مع كبرى وعظمى ، ويحملوننى أثقل الأحمال ، ويسافرون بى الأسفار الطوال ، ويستعملوننى فى الأشغال الشاقة آناء الليل وأطراف النهار . وإذا كبرت وشخت أو انكسرت لا يحفظ صحبتى ، بل يبيعنى للجزار فيذبحنى ، ويبيع جلدى للدباغين ، ولحمى للطباخين ، ولا تسال عما أقاسيه من ابن آدم .

فقال له الشبل : أى وقت فارقت ابن آدم ؟

فقال : فارقته وقت الغروب ، وأظنه يأتى عند انصرافى فلا يجدنى ، فيسعى فى طلبى . فدعنى يا ابن السلطان حتى أهرب فى البرارى والقفار .

فقال الشبل : تمهل قليـلا يا جمل ، حتى تنظر كيف أفترسه ، وأطعمك من لحمه ، وأهشم عظمه ، وأشرب من دمه .

فقال له الجمل : يا ابن السلطان ، أنا خائف عليك ، فإنه مخادع ماكر ، ثم أنشد قول الشاعر :

إذا حل الثقيل بأرض قوم　　　فما للساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام ، إذ بغبرة طلعت ، وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير ، رقيق البشرة ، على كتفه مقطف فيه عدة نجار ، وعلى رأسه ثمانية ألواح ، وبيده أطفال صغار ، وهو يهرول فى مشيه ، وما زال يمشى حتى قرب من الشبل . فلما رأيته يا أختى وقعت من شدة الخوف ، وأما الشبل فإنه قام وتمشى إليه ولاقاه ، فلما وصل إليه ضحك النجار فى وجهه ، وقال بلسان فصيح : أيها الملك الجليل ، صاحب الباع الطويل ، أسعد الله مساءك ومسعاك ، وزاد فى شجاعتك وقوّاك ، أجرنى مما دهانى ، وبِشَرّه رمانى ، لأنى ما وجدت لى نصيرا غيرك .

ثم إن النجار وقف بين يدى الأسد وبكى ، وأنّ واشتكى ، فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه ، قال له : أجرتك مما تخشاه ، فمن الذى قد ظلمك ، وما أنت تكون أيها الوحش الذى ما رأيت عمرى مثلك ، ولا أحسن صورة وأفصح لسانا منك . فما شأنك ؟

فقال له النجار : يا سيد الوحوش ، أما أنا فنجار ، وأما الذى ظلمنى فإنه ابن آدم ، وفى صباح هذه الليلة يكون عندك فى هذا المكان .

فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام ، تغير الضياء فى وجهه إلى ظلام ، وشخر ونخر ، وزمت عيناه بالشرر ، وصاح وقال : والله لأسهرنّ فى هذه الليلة إلى الصباح ، ولا أرجع إلى والدى حتى أبلغ مقصدى .

ثم إن الشبل التفت إلى النجار وقال له : إنى أرى خطواتك قصيرة ، ولا أقدر أن أخيب رجاءك لأنى ذو مروءة ، وأظن أنك لا تقدر أن تماشى الوحوش ، فأخبرنى إلى أين تذهب ؟

فقال له النجار : اعلم أننى رائح إلى وزير والدك الفهد ، لأنه لما بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض، خاف على نفسه خوفا عظيما ، وأرسل إلىّ رسولا من الوحوش لأصنع له بيتا يسكن فيه ، ويأوى إليه ، ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل إليه أحد من بنى آدم . فلما جاءنى الرسول أخذت هذه الألواح وتوجهت إليه .

فلما سمع الشبل كلام النجار ، أخذه الحسد للفهد ، فقال له : بحياتى لا بد أن تصنع لى هذه الألواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته ، وإذا فرغتَ من شغلى فامض إلى الفهد واصنع له ما يريد .

فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام ، قال له: يا سيد الوحوش ، ما أقدر أن أصنع لك شيئا إلا إذا صنعت للفهد ما يريد ، ثم أجىء إلى خدمتك ، وأصنع لك بيتا يحصنك من عدوك .

فقال له الشبل : والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الألواح بيتا .

ثم إن الشبل همّ بالنجار ووثب عليه ، وأراد أن يمزح معه فلطسه بيده فرمى المقطف من فوق كتفه ، ووقع النجار مغشيا عليه . فضحك

الشبل عليه وقال له :

ـــ ويلك يا نجار ، إنك ضعيف وما لك قوة ، فأنت معذور إذا خفت من ابن آدم .

فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ، ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه . ثم قعد النجار وضحك فى وجه الشبل وقال له :

ـــ ها أنا أصنع لك البيت .

ثم إن النجار تناول الألواح التى كانت معه ، وسمّر البيت وجعله مثل القالب قياس الشبل ، وخلى بابه مفتوحا لأنه جعله على صورة صندوق ، وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيها ثقوبا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة ، وقال للشبل :

ـــ ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة لأقيه عليك .

ففرح الشبل بذلك ، وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار :

ـــ ادخل وابرك على يديك ورجليك .

ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجا . ثم أراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج فقال له النجار :

ـــ امهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا .

فامتثل الشبل أمره . ثم إن النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى

الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمّره ؛ فصاح الشبل قائلا :

ــ يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى ؟ دعنى أخرج منه .

فقال له النجار :

ــ هيهات .. لا ينفع الندم على ما فات ، إنك لا تخرج من هذا المكان .

ثم ضحك النجار وقال للشبل :

ــ إنك وقعت فى القفص وكنت أخبث الوحوش .

فقال له :

ــ يا أخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به ؟

فقال له النجار :

ــ اعلم يا كلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه ، وقد رماك القدر ولم ينفعك الحذر .

فلما سمع الشبل كلامه يا أختى ، علم أنه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام ، وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما ، وبعدت عنه قليلا وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل ، فرأيت يا أختى ابن آدم حفر حفرة فى هذا المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه

الشبل ، ورماه فى تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار . فكبر يا أختى خوفى ، ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه .

فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب ، وقالت :

— يا أختى إنك أمنتِ من بنى آدم لأننا فى جزيرة من جزائر البحر ، وليس لابن آدم فيها مسلك ، فاختارى المقام عندنا إلى أن يسهل الله أمرك وأمرنا .

قالت :

— أخاف أن يطرقنى طارق ، والقضاء لا ينفعك عنه آبق .

فقالت :

— اقعدى عندنا وأنت مثلنا .

ولا زالت بها حتى قعدت وقالت :

— يا أختى أنت تعلمين قلة صبرى ، ولولا أنى رأيتك هنا ما كنت قعدت .

فقالت الطاووسة :

— إن كان على جبيننا شيء نستوفاه ، وإن كان أجلنا قد دنا فمن يخلصنا ؟! ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها .

فبينما هما فى هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة ، فعند ذلك

صاحت البطة ونزلت البحر وقالت :

ـــ الحذر .. الحذر ، وإن لم يكن مفر من القدر .

وكانت الغبرة عظيمة . فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبى ، فاطمأنت البطة والطاووسة ، ثم قالت البطة :

ـــ يا أختى إن الذى تفزعين منه ظبى ، وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه بأس ، لأن الظبى إنما يأكل الحشائش من نبات الأرض ، وكما أنت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش ، فاطمئنى ولا تهتمى فإن الهم ينحل البدن .

فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبى إليها يستظل تحت الشجرة ، فلما رأى الطاووس والبطةَ سلم عليهما وقال لهما :

ـــ إنى دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثر منها خصبا ، ولا أحسن منها مسكنا .

ثم دعاهما لمرافقته ومضافاته . فلما رأت البطة والطاووسة تودده إليهما أقبلتا عليه ورغبتا فى عشرته ، وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء .

ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فأرست قريبا منهم ، فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا الظبى والطاووسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم ، فشرد الظبى

فى البرية ، وطارت الطاووسة فى الجو ، فبقيت البطة محتبلة . ولم يزالوا بها حتى صادوها ، وصاحت قائلة : لم ينفعنى الحذر ، من القضاء والقدر .

وانصرفوا بها إلى سفينتهم .

فلما رأت الطاووسة ماجرى للبطة ، ارتحلت من الجزيرة وقالت : لا أرى الآجال إلا مرصدة لكل أحد ، ولولا هذه السفينة ما حصل بينى و بين هذه البطة افتراق ، ولقد كانت من خيار الأصدقاء .

ثم طارت الطاووسة واجتمعت بالظبى ، فسلم عليها وهنأها بالسلامة ، وسألها عن البطة فقالت له : قد أخذها العدو ، وكرهت المقام فى تلك الجزيرة بعدها .

ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول :

إنّ يوم الفراق قطّع قلبى   قطّع الله قَلْبَ يوم الفراقِ

وأنشدت أيضا :

تمنيت الوصال يعود يوما   لأخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبى غما شديدا ، ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل ، فأقام معها فى تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين ، غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة ، فقال الظبى للطاووسة : يا أختى قد علمت أن الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببا فى فراقنا وهلاك البطة ، فاحذريهم ، واحترسى منهم ، ومن مكر ابن آدم وخداعه .

قالت : قد علمت يقينا أنه ما قتلها غير تركها التسبيح ، ولقد قلت لها إنى أخاف عليك من تركك التسبيح ، لأن كل ما خلقه الله يسبح بحمده ، فإن غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه .

فلما سمع الظبى كلام الطاووسة قال : أحسن الله صورتك .

وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

قصة العـــــابد

١٤٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى بعض الجبال رجل من الرعاة، صاحب دين وعقل وعفة ، وكانت له غنم يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها . وكان ذلك الجبل الذى يأوى إليه الراعى كثير الأشجار والمرعى والسباع ، ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ، ولا على غنمه . ولم يزل مقيما فى الجبل مطمئنا ، لا يهمه شىء من أمر الدنيا ، لسعادته وإقباله على عبادته . فاتفق له أنه مرض مرضا شديدا ، فدخل كهفا فى الجبل ، وصارت الغنم تخرج بالنهار إلى مرعاها ، وتأوى بالليل إلى الكهف ، فأراد الله أن يمتحن

ذلك الراعى و يختبره فى طاعته وصبره ، فبعث إليه ملـكا ، فدخل عليه الملك فى صورة امرأة حسناء ، وجلس بين يديه . فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها ، فقال لها : أيتهـا المرأة ، ما الذى دعاك إلى المجىء هنا ، وليس لك حاجة معى ، ولا بينى و بينك ما يوجب دخولك عندى .

فقالت له : أيها الإنسان ، أما ترى حسنى وجمالى وطيب رائحتى ؟ أما تعلم حاجة الرجال إلى النساء ؟ فما الذى يمنعك منى وقد اخترت قربك ، وأحببت وصالك ، وقد جئتك طائعة ، وعليك غير ممتنعة ، وليس عندنا أحد نخشاه ، وأريد أن أقيم معك طول مقامك فى هذه الجبال ، وأكون أنيسة لك . وقد عرضت نفسى عليك لأنك تحتاج لخدمة النساء ، وقد نصحتك فاقبل نصيحتى وادن منى

فقال الراعى : اخرجى عنى أيتها المرأة الخدّاعة الغدارة ، فلا أركن إليك ، ولا أدنو منك ، ولا حاجة لى بقربك ولا بوصالك ؛ لأن من رغب فيك زهد فى الآخرة ، ومن رغب فى الآخرة زهد فيك ؛ لأنك فتنت الأولين والآخرين ، والله تعالى لعباده بالمرصاد ، والويل لمن ابتلى بصحبتك .

فقالت له : أيها التائه عن السداد ، والضال عن طريق الرشاد ، أقبل بوجهك إلىّ وانظر إلى محاسنى ، واغتنم قربى كما فعل من كان

قبلك من الحكماء ؛ فقد كانوا أكثر منك تجربة ، وأصوب منك رأيا ، ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء وقربهن ، فما أساءهم ذلك فى دينهم ولا دنياهم ، فارجع عن رأيك تحمد عاقبة أمرك .

فقال الراعى : إن الذى تقولينه كرهته ، وجميع ما تبدينه زهدته ، لأنك خدّاعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء ، فكم من قبيح تحت حسنك أخفيته ، وكم من صالح فتنته ، وكانت عاقبته إلى الندامة والحزن . فارجعى عنى أيتها المصلحة نفسها لفساد غيرها .

ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها ، واشتغل بذكر ربه . فلما رأى الملك حسن طاعته ، حرج وعرج إلى السماء ، وكان بالقرب من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه . فرأى فى منامه كأن قائلا يقول له : بالقرب منك فى مكان كذا رجل صالح فاذهب إليه ، وكن تحت طاعة أمره .

فلما أصبح توجه نحوه سائرا ، فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى شجرة عندها عين جارية ، فجلس فى ظل الشجرة ليستريح ، فبينما هو جالس إذ أتت وحوش وطيور : أتت إلى تلك العين لتشرب منها . فلما رأت العابد جالسا نفرت ورجعت شاردة ، فقال العابد فى نفسه : أنا ما استرحت هنا إلا لتعب هذه الوحوش والطيور .

ثم قام وقال معاتبا نفسه : لقد أضر بهذه الحيوانات فى هذا اليوم جلوسى فى هذا المكان ، فما عذرى عند خالقى وخالق هذه الطيور والوحوش ؟ فإنى كنت سببا لشرودها عن مائها ومرعاها . فواخجلتى من ربى يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، ثم أفاض من جفنه العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

أما واللهِ لو علِم الأنام ... لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفِلوا وناموا
فموت ثم بعث ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ونحن إذا نُهِينَا أو أُمِرْنا ... كأهل الكهف أكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ، ومنعه الطيور والوحوش من شربها ، وولى هائما على وجهه ، حتى أتى إلى الراعى فدخل عنده ، وسلم عليه ، فرد عليه السلام وعانقه وبكى . ثم قال الراعى : ما الذى أقدمك إلى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس علىّ ؟

فقال العابد : إنى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ، ويأمرنى بالمسير إليك والسلام عليك ، وقد أتيتك ممتثلا لما أمرت به .

فقبله الراعى ، وطابت نفسه بصحبته ، وجلس معه فى الجبل يعبدان الله تعالى فى ذلك الغار ، وحسنت عبادتهما . ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ، ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها ، متجردين عن المال والبنين ، إلى أن أتاهما اليقين .

قال الملك شهريار : لقد زهدتنى يا شهر زاد فى ملكى ، وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات ، فهل عندك شىء من حديث الطيور؟

طير الماء والسلحف

قالت : نعم . زعموا أيها الملك أن طيرا طار وعلا إلى الجو ، ثم انقض على صخرة فى وسط الماء ، وكان الماء جاريا . فبينما الطائر واقف على الصخرة ، إذ برمة إنسان جرها الماء حتى أسندها إلى الصخرة . ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة ، وارتفعت لانتفاخها ، فدنا منها طير الماء ، وتأملها ، فرآها رمة ابن آدم ؛ وظهر له فيها ضرب السيف ، وطعن الرماح ، فقال فى نفسه : إن هذا المقتول كان شريراً ، فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره .

ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة ، حتى رأى نسورا وعقبانا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها . فلما رأى ذلك طير الماء ، جزع جزعا شديدا وقال : لا صبر لى على الإقامة فى هذا المكان .

ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين نفاد تلك الجيفة ، وزوال سباع الطير عنها . ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وسطه شجرة ، فنزل عليها ، كئيبا حزينا على بعده عن وطنه ، وقال فى نفسه : لم تزل الأحزان تتبعنى ، وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة ، وفرحت

بها فرحا شديدا ، وقلت هذا رزق ساقه الله إلىّ ، فصار فرحى غما ، وسرورى حزنا وهما ، وافترستها سباع الطير منى ، وحالوا بينها و بينى ؛ فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا وأطمئن إليها ؟ وقد قيل فى المثل : الدنيا دار من لا دار له ، يغتر بها من لا عقل له ، و يطمئن إليها بماله وولده وقومه وعشيرته . ولم يزل المغتر بها راكنا إليها يختال فوق الأرض حتى يصير تحتها ، و يحثو عليه الترابَ أعزُّ الناس عليه ، وأقربهم إليه . وما للفتى خير من الصبر على مكارهها . وقدفارقت مكانى ووطنى ، وكنت كارها لفرقة إخوانى وأصحابى .

فبينما هو فى فكرته ، إذ بذكر من السلاحف أقبل منحدرا فى الماء ، ودنا من طير الماء وسلم عليه ، وقال : يا سيدى ما الذى أبعدك عن موضعك ؟

قال : حاول الأعداء فيه ، ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه .

فقال له السلحف : إذا كان الأمر كما وصفته ، والحال مثل ما ذكرته ، فأنا لا أزال بين يديك ولا أفارقك ، لأقضى حاجتك ، وأوفى خدمتك ، فإنه يقال : لا وحشة أشدّ من وحشة الغريب المنقطع عن أهله و وطنه . وقد قيل : إن فرقة الصالحين لا يعدلها شىء من المصائب . ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة ، والصبر على الرزية والكربة ، وأرجو أن تحمد صحبتى لك ، وأكون لك خادما ومعينا .

فلما سمع طير الماء مقالة السلحف ، قال له : لقد صدقت فى قولك ، ولعمرى إنى وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدى عن مكانى ، وفراق لإخوانى وخلانى . لأن فى الفراق عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن تفكر . وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب يتقطع عنه الخير أبدا ، ويثبت له الشر سرمدا . وليس للعاقل إلا التسلى بالإخوان عن الهموم فى جميع الأحوال ، وملازمة الصبر والتجلد ، فإنهما خصلتان محمودتان ، تعينان على نوائب الدهر ، ويدفعان الفزع والجزع فى كل أمر .

فقال له السلحف : إياك والجزع ، فإنه يفسد عليك عيشك ، ويذهب مروءتك .

وما زالا يتحدثان إلى أن قال طير الماء للسلحف : أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان .

فلما سمع السلحف مقالة طير الماء ، أقبل عليه ، وقبله بين عينيه ، وقال له : لم تزل جماعة الطير تعرف فى مشورتك الخير ، فكيف تحمل الهم والضير ؟

ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ، ثم إن طير الماء طار إلى مكان الجيفة ، فلما وصل إليه لم ير من سباع الطير شيئا ، ولا من تلك الجيفة إلا عظاما ؛ فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه ،

وقال له : إنى أحب الرجوع إلى مكانى ، لأتملى بخلانى ، فإنه لاصبر للعاقل عن وطنه .

فذهب معه إلى ذلك المكان ، فلم يجدا شيئا مما يخافان منه ، فصار طير الماء قرير العين ، وأنشد هذين البيتين :

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجَتْ وكان يظنها لا تُفْرجُ

ثم سكنا تلك الجزيرة . فبينما طير الماء فى أمن وسرور ، وفرح وحبور ، إذ ساق القضاء إليه بازا جائعا ، فضربه بمخلبه ضربة فقتله ، ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل .

هذا ما كان من حديث الطير

فقال الملك : ياشهرزاد ، لقد زدتنى بحكايتك مواعظ واعتبارا ، فهل عندك شىء من حكايات الوحوش ؟

الثعلب والذئب

فقالت : اعلم أيها الملك أن ثعلبا وذئبا ألفا وكرا ، فكانا يأويان إليه معا ؛ فلبثا على ذلك مدة من الزمان ، وكان الذئب للثعلب قاهرا . فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد ، وقال له : إن دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم ، فإنه ذو حيل ومكر

وخداع ، يصيد الطير من الجوّ ، والحوت من البحر ، ويقطع الجبال وينقلها ، وكل ذلك من حيله ؛ فعليك بالإنصاف ، وترك الشر والاعتساف ، فإنه أهنأ لطعامك .

فلم يقبل الذئب قوله ، وأغلظ له الرد ، وقال له : لا علاقة لك بالكلام في عظيم الأمور وجسيمها .

ثم لطم الثعلب لطمة ، فخر منها مغشيا عليه . فلما أفاق تبسم في وجه الذئب ، واعتذر إليه من الكلام الشين ، وأنشد هذين البيتين :

إن كنت قد أذنبت ذنبا سالفا   في حبكم وأتيت شيئا منكرا

أنا تائب عما جنيت وعفوكم   يسع المسيء إذا أتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره ، وكف عنه أشراره ، وقال له : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، تسمع ما لا يرضيك .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٤٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد المائة) ، قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الثعلب قال للذئب : سمعا وطاعة ، فأنا بمعزل عما لا يرضيك ، فقد قال الحكيم : لا تخبر عما لا تُسأل عنه ، ولا تجب

إلى ما لا تدعى إليه ، وذر الذى لا يعنيك إلى ما يعنيك ، ولا تبذل النصيحة للأشرار ، فإنهم يجزونك عليها شرا .

فلما سمع الذئب كلام الثعلب ، تبسم فى وجهه ، ولكنه أضمر له مكرا ، وقال : لا بد أن أسعى فى هلاك هذا الثعلب .

وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب ، وقال فى نفسه : إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك ، ويوقعان فى الارتباك ، فقد قيل : «من بطر خسر ، ومن جهل ندم ، ومن خاف سلم ، والإنصاف من شيم الأشراف ، والآداب أشرف الأكساب » . ومن الرأى مداراة هذا الباغى ، ولا بد له من مصرع .

ثم إن الثعلب قال للذئب : إن الرب يعفو ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب ، وأنا عبد ضعيف ، وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف . ولو علمتَ بما حصل لى من ألم لطمتك ، لعلمتَ أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ؛ ولكنى لا أشتكى من ألم هذه اللطمة ، بسبب ما حصل لى بها من السرور ، فإنها وإن كانت قد بلغت منى مبلغا عظيما ، عاقبتها سرور . وقد قال الحكيم : « ضرب المؤدب أوله صعب شديد ، وآخره أحلى من العسل المصفى » .

فقال الذئب : غفرت ذنبك ، وأقلت عثرتك ، فكن من قوتى على حذر ، واعترف لى بالعبودية ، فقد علمت قهرى لمن عادانى .

فسجد له الثعلب وقال له : أطال الله عمرك ، ولازلت قاهرا لمن عاداك .

ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب ، مصانعا له . ثم إن الثعلب ذهب إلى كرم يوما ، فرأى فى حائطه ثلمة فأنكرها ، وقال فى نفسه : إن هذه الثلمة لابد لها من سبب ، وقد قيل : « من رأى خرقا فى الأرض فلم يجتنبه . و يتوقّع الإقدام عليه ، كان بنفسه مغررا ، وللهلاك متعرضا » . وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم ، و يقدم إليه العنب فى الأطباق ، ليرى ذلك ثعلب آخر فيقدم إليه ، فيقع فى الهلاك . و إنى أرى هذه الثلمة مكيدة ، وقد قيل : « إن الحذر نصف المهارة » . ومن الحذر أن أبحث عن هذه الثلمة . وأنظر لعلى أجد عندها أمرا يؤدى إلى التلف ، ولا يحملنى الطمع على أن أ لقى بنفسى إلى الملكة .

ثم دنا منها ، وطاف بها وهو محاذر ، فرآها فإذا هى حفرة عظيمة ، قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذى يفسد الكرم ، ورأى عليها غطاء رقيقا ، فتأخر عنها . وقال : الحمد لله حيث حذرتها ، وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذى نغص عيشى ، فأستقل بالكرم وحدى ، وأعيش فيه آمنا .

ثم هز رأسه وضحك عاليا ، وأطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

ليتنى أبصرت هذا الـ وقتَ فى ذى البئرِ ذئبا
طالما قد ساء قلبى وسقانى المرّ غضبا
ليتنى من بعد ذا أبـ قى ويَقضِى الذئبُ نَحْبا
ثم يخلو الكرم منه وأرى لى فيه نهبا

فلما فرغ من شعره ، انطلق مسرعا حتى وصل إلى الذئب وقال : إن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بلا تعب ، وهذا من سعادتك . فهنيئاً بما فتح الله عليك ، وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة .

فقال الذئب للثعلب : وما الدليل على ما وصفت ؟

قال : إنى انتهيت إلى الكرم ، فوجدت صاحبه قد مات ، ودخلت البستان ، فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار .

فلم يشك الذئب فى قول الثعلب : وأدركه الشَّرَه ، فقام حتى انتهى إلى الثلمة ، وقد غره الطمع . ووقف الثعلب متهافتا كالميت ، وتمثل بهذا البيت :

أتطمع من ليلى بوصل وإنما تضر بأعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب إلى الثلمة ، قال له الثعلب : ادخل إلى الكرم ، فقد كفيتَ مؤنة هدم حائط البستان ، وعلى الله تمام الإحسان .

فأقبل الذئب ماشيا يريد الدخول إلى الكرم ، فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها ، فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح ،



وزوال الهم والترح ، وأطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

رق الزمان لحالتى ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ما أشتهى وأزال مما أتقى
فلأصفحن عما جنا ه من الذنوب السُّبّق
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرق
فالذئب ليس له خلا ص من هلاك موبق
والكرم لى وحدى وما لى من شريك أحمق

ثم إنه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندما وحزنا على نفسه ، فبكى الثعلب معه ، فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له : أمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين ؟

قال : لا والذى قذفك فى هذه الحفرة ، إنما بكيت لطول عمرك الماضى ، وأسفا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم . ولو وقعت فيها قبل اجتماعى بك ، لكنت أرحت واسترحت ؛ ولكن أبقيت إلى أجلك المحتوم ، ووقتك المعلوم .

فقال له الذئب : رُحْ أيها المسىء فى فعله لوالدتى ، وأخبرها بما حصل لى ، لعلها تحتال لخلاصى .

فقال له الثعلب : لقد أوقعك فى الهلاك شدّةُ طمعك وكثرة حرصك ، حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم ، ألم تعلم أيها الذئب الجاهل أن صاحب المثل يقول : « من لم يفكر فى العواقب ، لم يأمن المعاطب » .

فقال الذئب للثعلب : يا أبا الحصين ، إنما كنت تظهر محبتى ، وترغب فى مودتى ، وتخاف من شدة قوتى ؛ فلا تحقد علىّ بما فعلت معك ، فمن قدر وعفا كان أجره على الله ، وقد قال الشاعر :

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه   ما خاب قطُّ جميل أينما زُرِعا
إن الجميل وإن طال الزمان به   فليس يحصده إلا الذى زَرَعا

فقال له الثعلب : يا أجهل السباع ، وأحمق الوحوش فى البقاع ، هل نسيت تجبرك ، وعتوك وتكبرك ؟ وأنت لم ترع حق المعاشرة ، ولم تنتصح بقول الشاعر :

لاتظلمن إذا ما كانت مقتدرا   إن الظلوم على حدّ من النِّقَمِ
تنام عينك والمظلـــــوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

فقال له الذئب : ياأبا الحصين ، لا تؤاخذنى بسابق الذنوب ، فالعفو من الكرام مطلوب ، وصنع المعروف من حسن الذخائر ، وماأحسن قول الشاعر :

بادر بخير إذا ما كنت مقتدرا   فليس فى كل حين أنت مقتدر

وما زال الذئب يتـذلل للثعلب ويقول له : لعلك تقدر على شىء تخلصنى به من الهلاك .

قال الثعلب : أيها الفظ الغليظ إنى أشبهك فى حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل .

قال الذئب : وما حديث الباز والحجل ؟

قال الثعلب : دخلت يوما كرما لآكل من عنبه ، فبينما أنا فيه إذ رأيت بازا انقض على حجل ، فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه .

فتبعه الباز وناداه :

ـــ أيها الجاهل إنى رأيتك فى البرية جائعا فرحمتك ، والتقطت لك حبًّا وأمسكتك لتأكل فهربت منى ، ولم أعرف لهروبك وجها إلا الحرمان ، فاظهر وخذ ما أتيتك من الحب وكله هنيئا مريئا .

فلما سمع الحجل قول الباز ، صدقه وخرج إليه . فأنشب مخالبه فيه ، ومكنها منه ، فقال له الحجل : أهذا الذى ذكرت أنك أتيتنى به من البرية ، وقلت لى : كله هنيئا مريئا ، فكذبت على ؟ جعل الله ما تأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلا .

فلما أكله ، وقع ريشه ، وسقطت قوته ، ومات لوقته .

ثم قال له الثعلب : أعلم أيها الذئب أن من حفر لأخيه قليبا[1] ، وقع فيه قريبا ، وأنت غدرت بى أولا .

فقال الذئب للثعلب : دعنى من هذا المقال ، وضرب الأمثال ، ولا تذكر لى ماسلف منى من قبيح الفعال ، يكفينى ما أنا فيه من سوء الحال ، حيث وقعت فى ورطة يرثى لى منها العدو فضلا عن الصديق . وانظر لى حيلة أتخلص بها وكن فيها غياثى . وإن كان عليك فى ذلك مشقة ، فقد يحتمل الصديق لصديقه أشد النصب ، ويقاسى فيما فيه نجاته العطب . وقد قيل : « إن الصديق الشفيق ، خير من الأخ الشقيق » . وإن تسببت فى نجاتى لأجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ، ثم لأعلمنك من الحيل الغريبة ، ما تفتح به الكروم الخصيبة ، وتجنى الأشجار المثمرة ، فطب نفسا وقر عينا .

---

(١) القليب : البئر .

فقال له الثعلب وهو يضحك : ما أحسن ما قالته العلماء فى كثير الجهل مثلك .

قال الذئب : وما قالت العلماء ؟

قال الثعلب : ذكر العلماء أن غليظ الجثة غليظ الطبع ، يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل ؛ لأن قولك أيها الماكر الأحمق : « قد يتحمل الصديق المشقة فى تخليص صديقه » ، صحيح كما ذكرت ، ولكن عرفتنى بجهلك وقلة عقلك . كيف أصادقك مع خيانتك ؟ أحسبتنى لك صديقا وأنا لك عدوّ شامت ؟ وهذا الكلام أشد من رشق السهام إن كنت تعقل ، وأما قولك : « إنك تعطينى من الآلات مايكون عدة لى ، وتعلمنى من الحيل ما أصل به إلى الكروم المخصبة ، وأجتنى به الأشجار المثمرة » ، فمالك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك ؟ فما أبعدك من المنفعة لنفسك ، وما أبعدنى من القبول لنصيحتك . فإن كان عندك حيل ، فاحتل لنفسك فى الخلاص من هذا الأمر الذى أسأل الله أن يبعد خلاصك منه . فانظر أيها الجاهل إن كان عندك حيلة ، فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيرك . ولكنك مثل إنسان أصابه مرض ، فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه ، فقال له : « هل لك أن أداويك من مرضك ؟ » . فقال له الرجل : « هلا بدأت بنفسك فى المداواة ؟ » . فتركه وانصرف ، وأنت أيها الذئب كذلك ، فالزم مكانك ، واصبر على ما أصابك .

فلما سمع الذئب كلام الثعلب ، علم أنه لا خيرله عنده ، فبكى على نفسه وقال : كنت فى غفلة من أمرى . فإن خلصنى الله من هذا الكرب لأتوبن من تجبرى على من هو أضعف منى ، ولألبسن الصوف، ولأصعدن الجبل ذاكراً الله تعالى ، خائفا من عقابه ، وأعتزل سائر الوحوش ، ولأطعمن المجاهدين والفقراء .

ثم بكى وانتحب ، فرق له قلب الثعلب ، وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر ، أخذته الشفقة عليه ، فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ، ثم جلس على رجليه ، وأدلى ذنبه فى الحفرة ، فعند ذلك قام الذئب ومد يده إلى ذنب الثعلب ، وجذبه إليه . فصار فى الحفرة معه ، ثم قال له الذئب : أيها الثعلب القليل الرحمة ، كيف تشمت بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى ، وقد وقعت معى فى الحفرة . وتعجلت لك العقوبة ، وقد قالت الحكماء : «لو عيّر أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها » ، وما أحسن قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب : فلا بد أن أعجل بقتلك قبل أن ترى قتلى .

فقال الثعلب فى نفسه : إنى وقعت مع الجبار ، وهذه الحال تحتاج

إلى المكر والخدائع ، وقد قيل : «إن المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة» .
وفى المثل : « ما ادخرتك يا دمعتى إلا لشدتى » : وإن لم أتحيل فى أمر
هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة ، وما أحسن قول الشاعر :

عش بالخداع فأنت فى ... زمن بنوه كأسد بيشه
وأدِرْ قناة المكر حـ ... ـتى تستدير رحى المعيشه
واجنِ الثمار فإن تفتْك ... فَرَضٍّ نفسك بالحشيشه

ثم إن الثعلب قال للذئب : «لا تعجل علىَّ بالقتل فتندم أيها الوحش
الصنديد ، صاحب القوة والبأس الشديد. وإن تمهلت وأنعمت النظر فيما
أحكيه لك ، عرفت قصدى الذى قصدته ، وإن عجلت بقتلى فلا فائدة
لك فيه ، ونموت جميعا ها هنا .

فقال له الذئب : أيها الخادع الماكر ، وما الذى ترجوه من سلامتى
وسلامتك ، حتى تسألنى الإمهال عليك ؟ فأخبرنى بقصدك الذى قصدته .

فقال له الثعلب : أما قصدى الذى قصدته ، فما ينبغى أن تحسن عليه
مجازاتى ، لأنى سمعت ما وعدت من نفسك ، واعترافك بما سلف منك ،
وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير . وسمعت ما نذرته على
نفسك من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم ، وتركك أكل العنب
وسائر الفواكه ، ولزومك الخشوع ، وتقليم أظفارك ، وأن تلبس الصوف ،
وتقرب القربان لله تعالى إن نجاك مما أنت فيه ؛ فأخذتنى الشفقة عليك ،

مع أنني كنت على هلاكك حريصا . فلما سمعت منك توبتك ، وما نذرت على نفسك إن نجاك الله ، لزمني خلاصك مما أنت فيه ، فأدليت إليك ذنبي لكيما تتعلق به وتنجو ؛ فلم تترك الحالة التي أنت عليها من العنف والشدة ، ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق ، بل جذبتني جذبة ظننت منها أن روحي قد خرجت ، فصرت أنا وأنت في منزلة الهلاك والموت ، وما ينجيني أنا وأنت إلا شيء إن قبلته مني خلصت أنا وأنت ، وبعد ذلك يجب عليك أن تفي بما نذرته ، وأكون رفيقك .

فقال له الذئب : وما الذي أقبله منك ؟

قال له الثعلب : تنهض قائما ، ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريبا من ظاهر الأرض ، فإني حين أصير فوقها ، أخرج وآتيك بما تتعلق به ، وتخلص أنت بعد ذلك .

فقال له الذئب : لست بقولك واثقا ، لأن الحكماء قالوا : « من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئا » وقيل : « من وثق بغير ثقة كان مغرورا ؛ ومن جرب المجرب حلت به الندامة ؛ ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها ، بل حمل الأشياء كلها على حالة واحدة ، قل حظه ، وكثرت مصائبه » . وما أحسن قول الشاعر :

لايكن ظنك إلا سيئاً   إن سوء الظن من أقوى الفطن

مارمى الإنسان في مهلكة   مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول الآخر :

أَلزِمْ يقينَك سوء الظن تنجُ به ... من عاش مستيقظا قلت مصائبُهُ
والقَ العدوَّ بوجه باسم طَلِقٍ ... وانصبْ له فى الحشا جيشا يحاربُهُ

وقول الآخر :

أعدى عدوك أدنى من وثقتَ به ... فحاذر الناس واصحبْهم على دَخَلِ
وحسن ظنـك بالأيام معجزة ... فظُنَّ شرًّا وكن منها على وجلِ

فقال له الثعلب : إن سوء الظن ليس محمودا فى كل حال ، وحسن الظن من شيم الكمال ، وعاقبته النجاة من الأهوال . وينبغى لك أيها الذئب أن تحتال للنجاة مما أنت فيه ، ونسلم جميعا خير من موتنا . فارجع عن سوء الظن والحقد ، لأنك إن أحسنت الظن بى لا أخلو من أحد أمرين : إما أن آتيك بما تتعلق به وتنجو مما أنت فيه ، وإما أن أغدر بك فأخلص وأدعك ، وهذا مما لا يمكن ، فإنى لا آمن أن أبتلى بشىء مما ابتليتَ به ، فيكون ذلك عقوبة الغدر . وقيل فى الأمثال : « الوفاء مليح والغدر قبيح » . فينبغى أن تثق بى ، فإنى لم أكن جاهلا بحوادث الدهر ، فلا تؤخر حيلة خلاصنا ، فالأمر أضيق من أن نطيل فيه الكلام .

فقال الذئب : إنى مع قلة ثقتى بوفائك ، قد عرفت ما فى خاطرك

من أنك أردت خلاصى ، لما عرفت توبتى ، فقلت فى نفسى : « إن كان محقا فيما زعم فإنه يستدرك ما أفسد ، وإن كان مبطلا فجزاؤه على ربه » . وها أنا ذا أقبل منك ما أشرت به علىّ ، فإن غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك .

ثم إن الذئب انتصب قائما فى الحفرة ، وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الأرض ، فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الأرض ووقع مغشيا عليه . فقال له الذئب : ياخليلى لاتغفل عن أمرى ، ولا تؤخر خلاصى .

فضحك الثعلب وقهقه وقال : أيها المغرور ، لم يوقعنى فى يدك إلا المزح معك والسخرية بك ؛ وذلك أنى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح ، فطربت ورقصت ، فتدلى ذنبى فى الحفرة ، فجذبتنى فوقعت عندك . ثم أنقذنى الله تعالى من يدك ، فمالى لا أكون عونا على هلاكك وأنت من حزب الشيطان ، واعلم أننى رأيت البارحة فى منامى أنى أرقص فى عرس ، فقصصت الرؤيا على معبر ، فقال لى : « إنك تقع فى ورطة وتنجو منها » . فعلمت أن وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى . وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل أنى عدوك ، فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى إنقاذى إياك ، مع ما سمعت من غلظ كلامى ؟ وكيف أسعى فى نجاتك ، وقد قالت العلماء : « إن فى موت الفاجر راحة للناس

وتطهيرا للأرض » ؟ ولولا مخافة أن أحتمل من الألم فى الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر ، لتدبرت فى خلاصك .

فلما سمع الذئب كلام الثعلب ، عض على كفه ندما .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح :

١٥٠

(فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ، ثم لين له الكلام ، ولم يجد بُدًّا من ذلك ، وقال له بلسان خافت : إنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانا ، وألطفها مزاجا ، وهذا منك مزاح ، ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح .

فقال الثعلب : أيها الجاهل ، إن للمزاح حداً لا يجاوزه صاحبه ، فلا تحسب أن الله يمكنك منى ، بعد أن أنقذنى من يديك .

فقال له الذئب : إنك لجدير أن ترغب فى خلاصى ، لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة ، وإن خلصتنى لا بد أن أحسن مكافأتك .

فقال الثعلب : قد قال الحكماء : « لا تؤاخ الجاهل الفاجر ، فإنه يشينك ولا يزينك ؛ ولا تؤاخ الكذاب ، فإنه إن بدا منك خير أخفاه ، وإن بدا منك شر أفشاه » . وقالت الحكماء : « لكل شىء حيلة إلا الموت ، وقد

يصلح كل شىء إلا فساد الجوهر ، وقد يُدفَع كل شىء إلا القدر » .
وأما من جهة المكافأة التى زعمت أنى أستحقها منك، فإنى شبهتك فى مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوى ، إذ رآها رجل وهى مرعوبة ، فقال لها : « ما شأنك أيتها الحية ؟ » قالت : «هربت من الحاوى فإنه يطلبنى ، ولئن أنجيتنى منه وأخفيتنى عندك لأحسنن مكافأتك ، وأصنع كل جميل » .

فأخذها اغتناما للأجر ، وطمعا فى المكافأة ، وأدخلها فى جيبه . فلما مرّ الحاوى ومضى إلى حال سبيله ، وزال عنها ما كانت تخافه ، قال لها الرجل : « أين المكافأة ؟ فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين » . فقالت الحية : «أخبرنى فى أى عضو أنهشك ، وقد علمتَ أننا لا نتجاوز هذه المكافأة» . ثم نهشته نهشة مات منها .

وأنت أيها الأحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل ، أما سمعت قول الشاعر :

لا تأمنن فتى أسكنت مهجتَه غيظاً وتحسب أن الغيظ قد زالا
إنّ الأفاعى وإن لانت ملامسها تبدى انعطافا وتخفى السم قتّالا

فقال له الذئب : أيها الفصيح ، صاحب الوجه المليح ، لا تجهل حالى وخوف الناس منى ، وقد علمت أنى أهجم على الحصون وقلاع الكروم ، فافعل ما أمرتك به ، وقم بى قيام العبد بسيده .

فقال له الثعلب : أيها الأحمق الجاهل ، المجادل بالباطل ، إنى تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرنى به من خدمتك ، والقيام بين يديك ، حتى كأننى عبدك ؛ ولكن سوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة ، وكسر أنيابك الغدارة .

ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكروم ، ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به ، وأقبلوا عليه مسرعين . فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التى فيها الذئب ، ثم ولى الثعلب هاربا ، فنظر أصحاب الكرم فى الحفرة ، فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال . ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ، ويطعنونه بأسنة الرماح ،



حتى قتلوه وانصرفوا . فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة ، ووقف على الذئب فرآه ميتا ، فحرك رأسه من شدة الفرحات ، وأنشد هذه الأبيات :

أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت   بُعْدًا وَسُحْقًا لها من مهجة تلفتْ

فكم سعيتَ أبا سرحان فى تلفى   فاليوم حلت بك الآفات والتهبت

وقعت فى حفرة ما حلها أحد　　إلا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم إن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا .

وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب .

الفأرة وبنت عرس

ومما يحكى أن فأرة وبنت عرس كانتا تنزلان منزلا لبعض الناس ، وكان ذلك الرجل فقيرا ، وقد مرض بعض أصدقائه ، فوصف له الطبيب السمسم المقشور ؛ فدفع قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له ، فدفعه ذلك الرجل لزوجته ، وأمرها بإصلاحه . فقشرته تلك المرأة له ، وأصلحته ، فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت إليه ، ولم تزل تنقل من ذلك السمسم إلى جحرها طول يومها ، حتى نقلت أكثره . وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا ، فجلست ترصد من يأتى إليه حتى تعلم سبب نقصانه ، فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها ، فرأت المرأة جالسة ، فعلمت أنها ترصدها ، فقالت فى نفسها : إن هذا الفعل عواقبه ذميمة ، وإنى أخشى من تلك المرأة أن تكون لى بالمرصاد ، ومن لم ينظر فى العواقب ، ما الدهر له بصاحب . ولا بد لى أن أعمل عملا حسنا أظهر به براءتى من جميع ما عملته من القبيح .

فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذى فى جحرها ، فرأتها المرأة

وهى تفعل ذلك ، فقالت فى نفسها : ما هذه سبب نقصه لأنها تأتى به من جحر الذى اختلسه ، وتضعه على بعضه . وقد أحسنت إلينا فى رد السمسم ، وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه . وليست هذه آفة السمسم ، ولكن لا أزال أرصده حتى يقع ، وأعلم من هو .

فعلمت بنت عرس ماخطر ببال تلك المرأة ، فانطلقت إلى الفأرة فقالت لها : يا أختى إنه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة ، ولا يثبت على المودة .

فقالت الفأرة : نعم يا خليلتى ، وأنعِمْ بك وبجوارك ، فما سبب هذا الكلام ؟

قالت بنت عرس : إن رب البيت أتى بسمسم ، فأكل منه هو وعياله وشبعوا ، واستغنوا عنه وتركوه ، وقد أخذ منه كل ذى روح ، فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه .

فأعجب الفأرة ذلك ، ورقصت ولعبت بذنبها ، وغرها الطمع فى السمسم ، فقامت من وقتها ، وخرجت من بيتها ، فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض ، والمرأة جالسة ترصده . فلم تفكر الفأرة فى عاقبة الأمر ، وكانت المرأة قد استعدت بهراوة ؛ فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت فى السمسم وعاثت فيه ، وصارت تأكل منه ، فضربتها المرأة بتلك

الهراوة فشجت رأسها ، وكان سبب هلاكها ، الطمع وغفلتها عن عواقب الأمور .

فقال الملك : يا شهرزاد ، والله إن هذه حكاية مليحة ، فهل عندك حديث فى حسن الصداقة ، والمحافظة عليها عند الشدة ، والتخلص من الهلكة ؟

قالت : نعم .

الغراب والسنور

بلغنى أن غرابا وسنورًا كانا متواخيين ؛ فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة ، إذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التى كانا تحتها ، ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة . فطار الغراب إلى أعلى الشجرة ، وبقى السنور متحيرا . فقال للغراب : يا خليلى هل عندك حيلة فى خلاصى ، كما هو الرجاء فيك .

فقال له الغراب : إنما يُلتمس الإخوان عند الحاجة إليهم فى الحيلة ، عند نزول المكروه بهم ، وما أحسن قول الشاعر :

إنّ الصديق الحقّ من كان معكْ ومن يضر نفسه لينفعكْ
ومن إذا ريب الزمان صَدَعكْ شتت فيك شمله ليجمعكْ

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب ، فذهب الغراب حتى

ضرب بجناحه وجه الأرض ، ونعق وصاح ؛ ثم تقدم إليهم ، وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب ، وارتفع قليلا ؛ فتبعته الكلاب وسارت فى أثره . ورفع الراعى رأسه ، فرأى طائرا يطير قريبا من الأرض ويقع ، فتبعه ، وصار الغراب لايطير إلا بقدر التخلص من الكلاب ، ويطمعها فى أن تفترسه . ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب ، حتى انتهى إلى الشجرة التى تحتها النمر . فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه ، فولى هاربا ، وكان يظن أنه يأكل السنور ، فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب .

وقد أخبرتك بهذا أيها الملك ، لتعلم أن مودة إخوان الصفاء ، تنجى من المهلكات .

الثعلب والغراب

وحكى أن ثعلبا سكن فى بيت فى الجبل ، وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده ، أكله من الجوع ، وإن لم يأكل ولده أضرّ به الجوع وكان يأوى إلى ذروة ذلك الجبل غراب ، فقال الثعلب فى نفسه : أريد أن أعقد بينى وبين هذا الغراب مودة ، وأجعله لى مؤنسا فى الوحدة ، معاونا على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك على مالا أقدر عليه .

فدنا الثعلب من الغراب ، حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه ، فسلم عليه، ثم قال له : يا جارى ، إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين :

حق الجيرة ، وحق الإسلام . واعلم بأنك جارى ، ولك على حق يجب قضاؤه ، وبالأخص مع طول المجاورة ، على أن فى صدرى ودية من محبتك دعتنى إلى ملاطفتك ، وبعثتنى على التماس أخوّتك ، فما عندك من الجواب ؟

فقال الغراب للثعلب : اعلم أن خير القول أصدقه ، وربما تتحدث بلسانك بما ليس فى قلبك ، وأخشى أن تكون أخوّتك باللسان ظاهرا ، وعداوتك فى القلب ، لأنك آكل ، وأنا مأكول . فوجب لنا التباين فى المحبة ، ولا يمكن مواصلتنا ، فما الذى دعاك إلى طلب مالا تدرك ، وإرادة مالا يكون ؟ وأنت من جنس الوحوش ، وأنا من جنس الطير ، فهذه الأخوّة لاتصح .

فقال له الثعلب : إن مَنْ علمَ موضع الأخلاء ، فأحسن الاختيار فيما يختاره منهم ، ربما يصل إلى منافع الإخوان . وقد أحببت قربك ، واخترت الأنس بك ، ليكون بعضنا عونا لبعض على أغراضنا ، وتُعْقِبَ مودتُنا نجاحا . وعندى حكايات فى حسن الصداقة ، فإن أردت أن أحكيها حكيتها لك .

فقال الغراب : أذنت لك فى أن تبثّها ، فحدثنى بها حتى أعرف المراد منها .

فقال له الثعلب : اسمع يا خليلي : يحكى عن برغوث وفأرة ، ما يستدل به على ما ذكرته لك .

فقال الغراب : وكيف كان ذلك ؟

فقال الثعلب : زعموا أن فارة كانت في بيت رجل من التجار ، كثير المال ، فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر ، فرأى بدنا ناعما ، وكان البرغوث عطشان ، فشرب من دمه . ووجد التاجر من البرغوث ألما ، فاستيقظ من النوم ، واستوى قاعدا ؛ ونادى بعض أتباعه ، فأسرعوا إليه ، وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث . فلما أحس البرغوث بالطالب ولى هاربا ، فصادف جحراً لفأرة فدخله . فلما رأته الفأرة قالت له : ما الذى أدخلك علىّ ، ولستَ من جوهرى ولا من جنسى ؟ ولستَ بآمنٍ من الغلظة عليك ولا من مضارّتك .

فقال لها البرغوث : إنى هربت فى منزلك ، وفزت بنفسى من القتل ، وأتيتك مستجيرا بك . ولا طمع لى فى بيتك ، ولا يلحقك منى شر يدعوك إلى الخروج من منزلك . وإنى أرجو أن أكافئك على إحسانك إلىّ بكل جميل ، وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك .

فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث . . .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن كلام المباح .

(فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث. قالت : إذا كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا ، وما عليك بأس ، ولا تجد إلا ما يسرك ، ولا يصيبك إلا ما يصيبنى . وقد بذلت لك مودتى . ولا تندم على مافاتك من دم التاجر ، ولا تأسف على قوتك منه ، وارضَ بما تيسر لك من العيش ، فإن ذلك أسْلمُ لك . وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الأبيات :

سلكت القناعة والإنفراد وقضيت دهرى بماذا اتفقْ
بكسرة خبز وشربة ماء وملح جريش وثوب خَلَقْ
فإن يسر الله لى عيشتى وإلا قنعت بما قد رزقْ

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة، قال : يا أختى، قد سمعت وصيتك وانقدت إلى طاعتك ، ولا قوة لى على مخالفتك ، إلى أن ينقضى العمر بتلك النية الحسنة .

فقالت له الفأرة : كفى بصدق المودة فى صلاح النية .

ثم انعقد الود بينهما ، وكان البرغوث بعد ذلك يأوى إلى فراش التاجر ، ولا يتجاوز بُلْغته ، ويأوى بالنهار مع الفأرة فى مسكنها . فاتفق

أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة ، فجعل يقلبها ؛ فلما سمعت القأرة صوت الدنانير ، أطلعت رأسها من جحرها ، وجعلت تنظر إليها ، حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام ، فقالت الفأرة للبرغوث : أما ترى الفرصة والحظ العظيم ؟ فهل عنـدك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من تلك الدنانير ؟

قال البرغوث : إنه لايحسن لمن طلب الغرض ، إلا أن يكون قادرا عليه . فإن كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ، ولم يدرك مراده مع الضعف وإن استحكمت قوة المحتال ، كالعصفور الذى يلتقط الحب ، فيقع فى الشبكة ، فيقتنصه صائده . وليس لك قوة على أخذ الدنانير ، ولا على إخراجها من البيت ، وأنا لاطاقة لى على ذلك ، بل ولا على حمل دينار واحد منها ، فشأنك والدنانير .

فقالت له القأرة : إنى أعددت فى جحرى هذا سبعين منفذاً أخرج منها متى أردت الخروج ؛ وأعددت للذخائر موضعا حريزا ؛ وإن احتلت أنت على إخراج التاجر من البيت ، فلست أشك فى الظفر ، إن ساعدنى القدر .

فقال لها البرغوث : قد التزمت لك بإخراجه من البيت .

ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ، ولدغه لدغة قوية ، لم يكن جرى للتاجر مثلها ، ثم تنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه

من التاجر . وانتبه التاجر يفتش على البرغوث ، فلم يجد شيئا ، فرقد على جنبه الآخر ؛ فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى ، فقلق التاجر وفارق مضجعه ، وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ، ولم ينتبه إلى الصباح .

ثم إن الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئا ، فلما أصبح الصباح ، صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون .

ثم قال الثعلب للغراب : واعلم أنى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير ، العاقل الخبير ، إلا ليصل إليك جزاء إحسانك إلىّ ، كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث ، فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة ، وكافأها أحسن المكافأة .

فقال الغراب : إن شاء المحسن يحسن أو لا يحسن ، وليس الإحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة . وإن أحسنت إليك مع كونك عدوى ، أكون قد تسببت فى قطيعة نفسى . وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ؛ ومَن شيمته المكر والخديعة لا يُؤْمن على عهد ؛ ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له . وقد بلغنى من قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ، ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك . وفعلت به هذه الأمور مع أنه من جنسك ، وقد صحبته مدة مديدة ، فما أبقيت عليه . فكيف أثق منك بنصيحة ؟ وإذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك ،

فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك ؟ وما مثالك معى إلا مثال الصقر مع ضوارى الطير .

فقال الثعلب : وما حكاية الصقر مع ضوارى الطير ؟

فقال الغراب : زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا . . .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٥٢

(فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغراب قال : زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا أيام شبيبته ، وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ، ولا يسلم من شره أحد ، وله حكايات كثيرة فى ظلمه وتجبره . وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطير ، فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع ، واشتد جهده بعد فقد قوته ، فأجمع رأيه على أن يأتى مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها . فعند ذلك صارت قوته بالحيلة ، بعد القوة والشدة .

وأنت كذلك أيها الثعلب ، إن عدمت قوتك ما عدمت خداعك ، ولست أشك فى أن ما تطلبه من صحبتى حيلة على قوتك ، فلا كنتُ ممن يضع يده فى يدك ، لأن الله أعطانى قوة فى جناحى ، وحذرًا فى نفسى ، و بصرًا فى عينى . واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب ، ور بما

هلك . وأنا أخاف عليك إن تشبهتَ بمن هو أقوى منك ، أن يجرى لك ما جرى للعصفور .

قال الثعلب : وما جرى للعصفور ؟ فبالله عليك خبِّرنى به .

فقال الغراب : بلغنى أن عصفورا كان طائرا بمراح غنم ، فنظر إلى المراح ، وإذا بعقاب كبير انقض على ربيس من صغار أولاد الغنم ، فاختطفه بمخالبه وطار . فلما رآه العصفور نشر جناحه ، قال : أنا أفعل مثل ما فعل هذا .

وأعجبته نفسه ، وتشبه بمن هو أكبر منه ، فطار لوقته ، وانقض على كبش سمين ، له صوف كثير ، وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه ، فصار صوفه مثل الدِّبق[1] . فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه ، فاشتبكت رجلاه فى الصوف ؛ فأراد أن يطير فلم يستطع الطيران . وقد حدث كل هذا والراعى ينظر ما جرى لهما ، فرجع إليه غضبان ، فقبض عليه ، ونتف أجنحته ، وربط فى رجليه خيطا ، وأتى به إلى أولاده ورماه لهم .

فقال بعض الأولاد : ما هذا ؟

فقال : هذا الذى تشبه بمن هو أعلى منه فهلك .

وأنت كذلك أيها الثعلب ، أحذرك أن تتشبه بمن هو أقوى منك فتهلك . هذا ما عندى من الكلام ، واذهب عنى بسلام .

---

(١) الدبق : مادة صمغية تصاد بها صغار الطيور .

فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب ، رجع من حزنه يئن ، وقرع الندامة سنا على سن . فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ، ورأى كآبته وحزنه ، قال : أيها الثعلب ، ما نابك ، حتى قرعت نابك .

قال له الثعلب : إنما قرعت سنى ، لأنى رأيتك أخدع منى .

ثم إنه ولى هاربا ، ورجع إلى جحره طالبا .

وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك .

فقال الملك : يا شهر زاد ، ما أحسن هذه الحكايات ، فهل عندك شيء مثلها من الخرافات ؟

القنفذ والورشان

قالت : يحكى أن قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة ، وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا فى النخلة ، وعاشا فوقها عيشا رغدا . فقال القنفذ فى نفسه : إن الورشان يأكل من ثمر النخلة ، وأنا لا أجد إلى ذلك سبيلا ؛ ولكن لابد من استعمال الحيلة .

ثم حفر فى أسفل النخلة بيتا ، واتخذه مسكنا له ولزوجته ، واتخذ جانبه مسجدا ، وانفرد فيه ، وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا . وكان الورشان يراه متعبدا مصليا ، فرق له من شدة زهده ، وقال : كم سنة وأنت هكذا ؟

قال : مدة ثلاثين سنة .

قال : ما طعامك ؟

قال : ما يسقط من النخلة .

قال : ما لباسك ؟

قال : شوك أنتفع بخشونته.

فقال : وكيف اخترت مكانك هذا على غيره ؟

قال : اخترته على غيرطريق ، لأجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل.

فقال له الورشان : كنت أظن أنك على غير هذه الحالة ، ولكننى الآن رغبت فيما عندك .

فقال القنفذ : إنى أخشى أن يكون قولك ضد فعلك ، فتكون كالزارع الذى لما جاء وقت الزرع قصر فى بذره ، وقال : إنى أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات ، فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر .

فلما جاء وقت الحصاد ، ورأى الناس وهم يحصدون ، ندم على ما فاته من تقصيره وتخلفه ، ومات أسفا وحزنا .

فقال الورشان للقنفذ : وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا ، وأنقطع إلى عبادة ربى ؟

قال له القنفذ : خذ فى الاستعداد للمعاد ، والقناعة بالكفاف من الزاد.

فقال الورشان : كيف لى بذلك ، وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التى فيها قوتى ؟ ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا أستقر فيه .

فقال القنفذ : يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام أنت وزوجتك ، وتسكن فى وكر تحت النخلة لالتماس حسن رشادك . ثم مِلْ إلى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه ، وادخره قوتا للعام ، وإذا فرغت الثمار ، وطال عليك المطال ، صر إلى كفاف من العيش .

فقال الورشان : جزاك الله خيرا حيث ذكرتنى بالمعاد ، وهديتنى إلى الرشاد .

ثم تعب الورشان هو وزوجته فى طرح الثمر ، حتى لم يبق بالنخلة شىء ؛ فوجد القنفذ ما يأكل ، وفرح به ، وملأ مسكنه من الثمر ، وادخره لقوته ، وقال فى نفسه : إن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤنتهما ، طلباها منى ، وطمعا فيما عندى ، وركنا إلى تزهدى وورعى . فإذا سمعا نصيحتى ووعظى ، دنوا منى ، فأقتنصهما وآكلهما ، ويخلو لى هذا المكان ، وكل ما يسقط من ثمر النخلة يكفينى .

ثم إن الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة ، بعد أن نثرا ما عليها من الثمر ؛ فوجد القنفذ قد نقل جميع ذلك إلى جحره ، فقال له الورشان : أيها القنفذ الصالح ، والواعظ الناصح ، إنا لم نجد للتمر أثراً ، ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا .

فقال : لعله طارت به الرياح ، والإعراض عن الرزق إلى الرازق عين الفلاح ، فالذى شق الأشداق ، لا يتركها بلا أرزاق .

وما زال يعظهما بتلك المواعظ ، و يظهر لهما الورع بزخرف الملافظ ، حتى ركنا إليه ، وأقبلا عليه ، ودخلا باب وكره ، وأمنا من مكره ، فوثب إلى الباب ، وقرع الأنياب .

فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة ، قال له : أين الليلة من البارحة ؟ أما تعلم أن الله للمظلومين ناصر ، فإياك والمكر والخديعة ، لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر .

فقال القنفذ : وكيف كان ذلك ؟

التاجر والماكران

قال : بلغنى أن تاجرا من مدينة يقال لها سند ، وكان ذا مال واسع ، فشد أحمالا ، وجهز متاعا ، وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها . فتبعه رجلان من المكرة ، وخلا شيئا من مال ومتاع ، وأظهرا للتاجر أنهما من التجار ، وسارا معه . فلما نزلا أول منزل ، اتفقا على المكر به ، ثم إن كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه ، وقال في نفسه : لو مكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر ، لصفا لى الوقت ، وأخذت جميع المال .

ثم أضمرا لبعضهما بعضا نية فاسدة ، وأخذ كل منهما طعاما ، وجعل فيه سما ، وقربه لصاحبه ، فقتلا بعضهما بعضا ، وقد كانا من قبل

يجلسان مع التاجر ويحدثانه ، فلما أبطآ عليه ، فتش عليهما ليعرف خبرهما ، فوجدهما ميتين ، فعلم أنهما كانا محتالين وأرادا المكر به ، فعاد عليهما مكرهما ، وسلم التاجر ، وأخذ ما كان معهما .

فقال الملك : نبهتنى يا شهرزاد إلى شىء كنت غافلا عنه ، أفلا تزيديننى من هذه الأمثال ؟

السارق والمشترى

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن رجلا كان عنده قرد ، وكان ذلك الرجل سارقا ، لا يدخل سوقا من أسواق المدينة التى هو فيها إلا ويرجع بكسب عظيم . فاتفق أن رجلا حمل أثوابا ليبيعها ، فذهب بها إلى السوق ، وصار ينادى عليها ، فلا يسومها أحد . وكان لا يعرضها على أحد إلا امتنع من شرائها .

فاتفق أن السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب ، وكان قد وضعها فى بقجة ، وجلس يستريح من التعب ، فلعب القرد قدامه حتى شغله بالفرجة عليه ، واختلس السارق منه تلك البقجة . ثم أخذ القرد وذهب إلى مكان خال ، وفتح البقجة ، فرأى تلك الثياب فوضعها فى بقجة نفيسة ، وذهب بها إلى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها ، ورغب الناس فيها لقلة الثمن . فرآها رجل وأعجبته

نفاستها، وذهب بها إلى زوجته ، فلما رأت ذلك قالت : ما هذا ؟

قال : « متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لأبيعه وآخذ فائدته .

فقالت : أيها المغبون ، أيباع هذا المتاع بأقل من قيمته ، إلا إذا كان مسروقا ؟ أما تعلم أن من اشترى شيئا ولم يعاينه كان مخطئا ؟ وكان مثله مثل الحائك .

فقال لها : وكيف كان ذلك ؟

فقالت : بلغنى أن حائكا كان فى بعض القرى ، وكان يعمل فلا ينال القوت إلا بجهد . فاتفق أن رجلا من الأغنياء كان ساكنا قريبا منه ، قد أولم وليمة ، ودعا الناس إليها . فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة ، تقدم لهم الأطعمة الفاخرة ، وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم ، فقال فى نفسه : لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها ، وأكثر أجرة ، لجمعت مالا كثيرا ، واشتريت ثيابا فاخرة ، وارتفع شأنى ، وعظمت فى أعين الناس .

ثم نظر إلى بعض أهل الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد صعد سورا شاهقا ثم رمى بنفسه إلى الأرض ونهض قائما ، فقال فى نفسه : لابد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه .

ثم صعد إلى السور ورمى بنفسه ، فلما وصل إلى الأرض اندقت رقبته فمات .

و إنما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشر ، فترغب فيما ليس من شأنك .

فقال لها زوجها : ما كل عالم يسلم بعلمه ، ولا كل جاهل يعطب بجهله . وقد رأيت الحاوى الخبير بالأفاعى العالم بها ربما نهشته الحية فتقتله ، وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها، ولا علم بأحوالها .

ثم خالف زوجته ، وتاجَرَ فى المتاع . وأخذ فى تلك العادة ، فصار يشترى من السارقين بدون القيمة ، إلى أن وقع فى تهمة فهلك فيها .

العصفور وملك الطيور

وكان فى بعض الأزمان عصفور ، يأتى كل يوم إلى ملك من ملوك الطيور ، ولم يزل غاديا ورائحا عنده ، بحيث كان أول داخل عليه ، وآخر من عنده . فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال ، فقال بعضهم لبعض : إنا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ، ولا بد لنا من ملك ينظر فى أمورنا ؛ فتجتمع كلمتنا ، ويزول الاختلاف عنا .

فمر بهم ذلك العصفور ، فأشار عليهم بتمليك الطاووس ، وهو الملك الذى يتردد إليه . فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكا ، فأحسن إليهم ، وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره ؛ فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الأمور .

ثم إن العصفور غاب يوما عن الطاووس ، فقلق قلقا عظيما ، فبينما هو كذلك ، إذ دخل عليه العصفور ، فقال له : ما الذى أخرك وأنت أقرب أتباعى إلىّ ؟

فقال العصفور : رأيت أمراً اشتبه على فتخوفت منه .

فقال له الطاووس : ما الذى رأيت ؟

قال العصفور : رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى ، وثبت أوتادها ، وبذر فى وسطها حبا ، وقعد بعيدا عنها ، فجلست أنظر ما يفعل ، فبينما أنا كذلك ، إذ بكركى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى وسط الشبكة ، فصارا يصرخان ، فقام الصياد وأخذهما ، فأزعجنى ذلك ، وهذا سبب غيابى عنك يا ملك الزمان ، وما بقيت أسكن هذا الوكر حذارا من الشبكة .

فقال له الطاووس : لا ترحل من مكانك ، لأنه لا ينفع الحذر من القدر .

فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك .

ولم يزل العصفور حذرا على نفسه ، وأخذ الطعام إلى الطاووس ، فأكل حتى اكتفى ، وتناول على الطعام ماء ، ثم ذهب العصفور ، فبينما هو فى بعض الأيام شاخص ، إذ بعصفورين يقتتلان فى الأرض ، فقال فى نفسه : كيف أكون وزير الملك ، وأرى العصافير تقتتل فى جوارى ؟ والله لأصلحن بينهما .

ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما ، فقلب الصياد الشبكة على الجميع ، فوقع ذلك العصفور فى وسطها . فقام إليه الصياد وأخذه ، ودفعه إلى صاحبه ، وقال : استوثق منه فإنه سمين ، ولم أرَ أحسن منه .

فقال العصفور فى نفسه : قد وقعت فيما كنت أخاف ، وما كان آمنا إلا الطاووس ؛ ولم ينفعنى الحذر من القدر ، فلا مفر من القضاء للمحاذر ، وما أحسن قول الشاعر :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة   أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته   وأخو الجهالة دائما مغبون

فقال الملك : يا شهر زاد ، زيدينى من حديثك الجميل .

فقالت : الليلة القابلة إن أبقانى الملك أعزه الله .

وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح .

القصة التالية

«على بن بكار وشمس النهار»

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

دار مصر للطباعة